

العولمة

أولاً- مفهوم العولمة:

لقد كُتِبَ الكثير عن العولمة في الآونة الأخيرة، وعقدت ندوات ومؤتمرات عديدة حولها تناولت مفهومها وجوانبها وأبعادها المختلفة. وانتشر استخدام مفهوم العولمة بين المتقنين في العالم بشكل واسع، إلا أن الغموض ما زال يحيط به، وخاصة للعولمة جوانب متعددة اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، ولكن يمكن القول إن الجانب الاقتصادي للعولمة واضح أكثر من بقية الجوانب الأخرى حتى الآن، كما أن هناك خلطاً بين العولمة والعالمية عند البعض وهذا يقلل من وضوح مفهوم العولمة.

وفيما يتعلق بتاريخ جذور العولمة فهو قديم إذ تثبتت كتب التاريخ أن فكرة توحيد العالم وفق نظام عالمي واحد يعود إلى العديد من شخصيات الحضارات الأخرى.

وعلى سبيل المثال دعا الملك الفرعوني "أخناتون" إلى تكوين دولة عالمية تخضع لقانون واحد.

ويرى البعض أن العولمة خرجت من رحم الفكر اليوناني القديم الأفلطوني والأرسطي وكانت مقابل فكرة دولة المدنية، حيث نادى أرسطو بكون بكنر سياسي على أساس فكرة "الدولة العالمية" ولها حاكم وقانون واحد.

كما أن دعوة لتوحيد العالم ارتبطت بالديانات الغارقة في القدم. فالعالم في الفكر الديني هو عبارة عن وحدة واحدة وبدون حدود فاصلة.

وكان الإسلام في مقدمة الديانات التي دعت الشعوب والقبائل للتعارف والتقارب والتوحيد. ولكن عندما تدعو الديانات السماوية الشعوب للوحدة والتعاون تدعوهم من أجل مصلحتهم جميعاً. في حين دعوة الدول لفتح الأسواق وإزالة الحواجز التي تعيق حركة البضائع في ظل الفجوة الواسعة بين الدول الغنية والفقيرة ما هو إلا لتحقيق مصالح قلة من الأغنياء ليزدادوا غنى.

وبذلك تصبح العولمة مصطلحاً جديداً لمفهوم قديم، شاركت فيه بعض الحضارات الأخرى بجانب الحضارة الغربية الحديثة⁽¹⁾.

وقويت جذور العولمة في الماضي بظهور الثورة الصناعية ونشأة النظام الرأسمالي نفسه، وبالتحديد الرأسمالية الأوربية وخرجها من الأسواق الوطنية إلى الأسواق العالمية في المستعمرات للسيطرة على أسواق بلدان العالم الثالث وظهور الشركات المتعددة الجنسيات.

ولم يكن لمفهوم العولمة أي وجود قبل منتصف عقد الثمانينات من القرن العشرين. وأشار قاموس أكسفورد للكلمات الإنكليزية واصفاً إياه بأنه من الكلمات الجديدة التي برزت في بداية التسعينات من القرن الماضي. وبعد ذلك أصبح مفهوم العولمة من أكثر المصطلحات تداولاً في العالم في الغرب والشرق والشمال والجنوب، وعند مختلف فئات الناس، والتخصصات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية.

وإن الخلط بين مفهوم العولمة والعالمية واستخدام أحد المفهومين محل الآخر يزيد مفهوم العولمة غموضاً. فالعولمة لا تعترف بالدولة أو الوطنية أو القومية، وتقوم على الهيمنة وسيادة الأغنياء، بينما العالمية تركز التواصل بين البشر لتحقيق أهداف مادية ومعرفية

(1) مجلة الوعي الإسلامي - العدد ٤٠٨ - الكويت - ١٩٩٩.

لكافة البشر، وتردد الخصوصيات والهويات المختلفة وتثريها. ويفرق المنكر الفرنسي "جان بودريان" بين المفهومين في أن العولمة تخص السوق والسياحة والتكنولوجيا والمعمارية، فهي حين تختص العالمية بحقوق الإنسان والحريات الثقافية الديمقراطية ويتم الخلط المتعمد أحياناً لإضفاء بعض صفات العالمية على العولمة أو استخدامها لمفرداتها. ويعبر عن ذلك كل من سمير أمين و"روجيه غارودي" المفكر الفرنسي. فالعولمة عند سمير أمين مفهوم مزدوج وخبيث "حيث يستمر انشغال بالأخلاق والحق والعدالة من أجل تقنين الذنوع الوقح عن المصالح المستترة". ويرى غارودي أن معاني الكلمات قد شوّخت، "حيث صرنا نطلق كلمة تقدم على انحراف أقصى يؤدي إلى تدمير الإنسان والطبيعة، ونطلق أيضاً كلمة "الحرية" على نمو اقتصادي بلا غاية، ينتج بإيقاع متسارع أي شيء، سواء كان مفيداً أو غير مفيد، مؤذياً أو حتى مميتاً، كالأسلحة والمخدرات".

أما فيما يتعلق بتعريف العولمة فهو أمر شائك وحتى الآن لا يوجد تعريف واحد ومحدد لهذه الظاهرة التاريخية الجديدة التي لم تتضح كل جوانبها وحقائقها بعد. وفي الواقع من الصعب حصر وتحديد العولمة بتعريف واحد مهما كان شاملاً ودقيقاً. فالعولمة تأخذ أكثر من شكل أو صيغة. ويمكن التمييز بين العولمة الاقتصادية والعولمة الاجتماعية والعولمة الثقافية والعولمة السياسية، فكل واحد منها تختلف في مضامينها وحضورها على أرض الواقع ومظاهرها^(١).

وربما يكون تعريف رونالد روبرتسون أقدم تعريف للعولمة "إن يؤكد أن العولمة هي اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش". وتسارعت حركة انكماش العالم في العقد الأخير من القرن العشرين بمعدلات مذهلة، وساهم في ذلك

التطورات العلمية والمعلوماتية. وأصبح العالم يتقرب من بعضه يوماً بعد يوم.

وتقلصت المسافات الجغرافية وتقلصت معها أيضاً المسافات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإنسانية. ويرى رونالد روبرتسون أن وعي العالم بالانكماش لا يقل أهمية عن الانكماش الفعلي للعالم. لا بل أن وعي الناس بأن العالم ينكمش، ويتقرب من بعضه يعني أن العولمة قد أصبحت حقيقة معاشة في الواقع والوعي.

وعرف مالكوم واترز مؤلف كتاب العولمة "بأن العولمة هي كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو من دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد".

ويمكن تعريف العولمة "بأنها الحركة النشطة والحررة والمتسارعة للمبادلات العالمية، المالية والتجارية، وإلغاء الحدود والحواجز التشريعية والجمركية وغيرها أمام حركة تنقل السلع ورؤوس الأموال، ويمثل تطور الأنترنت والتجارة عبر هذه الشبكة العالمية ظاهرة جديدة من ظواهر عولمة الاقتصاد".

ويمكن تعريف العولمة أيضاً بأنها نمط سياسي واقتصادي وثقافي لنموذج غربي متطور خرج بتجربته عن حدوده لعولمة الآخر بهدف تحقيق أهداف وغايات فرضها التطور المعاصر.

وهناك العشرات من التعريفات الأخرى للعولمة، ولكن كما ذكرنا للعولمة جوانب عديدة.

ثانياً - العولمة الاقتصادية:

بعد الجانب الاقتصادي من أبرز مجالات العولمة، وترتكز العولمة الاقتصادية على حرية السوق وإزالة الحواجز وفتح أبواب

(١) مجلة عالم الفكر - المجلد الثامن والعشرون - العدد الثاني - أكتوبر / ديسمبر ١٩٩٩.